روكو العبيط

محمود سالم

روكو العبيط

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

روكو العبيط

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٦٩٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ما نطلب الإجابة عليه!	١١
مزيد من المعلومات	١٥
الرصاصة الصامتة!	١٩
زيكو!	٢٣
نيران على الشاطئ	٢٧
خطة للنوم	٣١
مغامرة هادئة جدًّا	٣٥
طبق فول بالطحينة	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ما نطلب الإجابة عليه!

كان «روكو» شخصية نادرة ... عاش في شوارع «نيويورك» وحواريها أغلب عُمْره ... منذ كان طفلًا صغيرًا حتى تجاوز الخمسين ... لم يخرج «روكو» من مدينته الكبيرة مُطلقًا ... كما أنه لم يَنتظم في أي عمل على الإطلاق ... فقد عمل شيَّالًا أحيانًا ... وأحيانًا مُنَادِي سيارات ... وشحَّاذًا وبائع جرائد ... وبوَّابًا ... وفي جميع الأحوال لم يستمرَّ «روكو» في أيِّ عمل أكثر من شهر ... ثم يَختفي بضعة أيام أو أسابيع، ثم يظهر في الشارع الخامس بملابسِه البالية ... وابتسامته البلهاء ...

وكان «روكو» طويل القامة ... ضخم البنيان ... له قبضة حديدية يستطيع أن يُسْكِتَ بها أيَّ مخلوق يعاكسه ... ويقول الذين يعرفون ماضيه: إنَّه تدرب في شبابه على الملاكمة ... وأنه كان يُمكن أن يصبح بطلًا مشهورًا لولا أنه أُصيب في إحدى المباريات بضربةٍ قويةٍ في رأسه ... أصابته بارتجاجٍ في المخ ... وقرَّر الأطباء أن أي إصابة أخرى ستُصيبه بتلف في الرأس قد يؤدي به إلى الشلل أو الجنون ...

ولم يكن «روكو» يؤكد أو ينفي الحكايات التي تُروى عنه ... فهو يبتسم للجميع ... ويضحك للجميع ... ويأخذ البقشيش ... ويتناول ساندويتشات الهامبرجر ... التي يُحبها ... ثم يختفي في الليل ... ولا يعرف أحد أين ذهب حتى يظهر في صباح اليوم التالي ...

و«روكو» لا يقصر نشاطه أو جولاته على شارع دون شارع؛ فهو يتنقل من «بروكلين» إلى «مانهاتن» ... ومن «برودواي» إلى «الحي السابع» ...

ولم يكن «روكو» يتردَّد إذا شعر بالجوع من دخول أي مطعم حتى ولو لم تكن معه نقود ... أو الدَّق على بابِ أيِّ شخص ... أو دخول أي مكان لطلب الطعام ... بل إنه كثيرًا ما كان يطلب ثمن الطعام من رجال البوليس ... ومن رجال العصابات أيضًا ...

وكان الجميع يُعطون «روكو» ما يطلبه ... ومن النادر أن يرفض له أحد طلبًا ... فقد كان «روكو» هو الابتسامة الدائمة لكلِّ شارع ... يرضى بأقل القليل، ويظلُّ مبتسمًا ... لهذا أطلقوا عليه «روكو ذا اديوت» ... أي «روكو العبيط» ... وكان هذا يُسعده كثيرًا ...

وفجأة اختفى «روكو» العبيط ... اختفى أيامًا، وظنَّ الناس أنه كعادته سيَختفي ثمَّ يظهر ... أو أنه ذهب إلى شارع بعيدٍ وسيعود ... أو أنه مريض في مكانٍ ما، وعندما يُشْفَى سوف يعاود نشاطه وتجواله ... في شوارع «نيويورك» ... ولكن مضت الأيام والأسابيع دون أن يظهر «روكو»، وظنَّ الجميع أنه مات في مكان مجهول أو غرق في النهر ... أو ضربته سيارة مجهولة ولم يتعرَّف أحد على شخصيته ... فمات في إحدى المستشفيات ودُفن في مقابر الفقراء ...

وكادت قصة «روكو» أن تختفي من أذهان الناس ... ولكن مخابرات إحدى الدول العربية طلبت من الشياطين الـ ١٣ البحث عن مصيره.

كان الطلب غريبًا ...

فلماذا تهتمُّ المخابرات بشخصية «روكو» العبيط؟

ولكن التقرير الذي تَلقَّاه رقم «صفر» عن حقيقة «روكو» جعل المقرَّ السري كله كخلية النحل ... كان التقرير يقول:

إنَّ «روكو» لم يكن في أي يوم من الأيام عبيطًا كما تصوَّر كلُّ من عرفه ... لقد كان رجلًا مزدوج الشخصية ... يعيش في الشوارع تحت اسم «روكو العبيط» ... أمَّا الواقع فإنه يعيش تحت أسماء كثيرة مُستعارة ... ويسكن في أكثر من شقة وفيلا في «نيويورك» ... وخارج «نيويورك» أيضًا ...

إنَّ «روكو» العبيط واحد من أخطر الجواسيس ... وأكبر المهرِّبين ... لا في أمريكا وحدها، بل في العالم كله ... و«روكو» العبيط الذي يَرضى ببضعة بنسات ليشتري طعامه ... يملك ملايين كثيرة من الدولارات موضوعة في حسابات سرية في أكبر بنوك العالم ...

حتى ماضي «روكو» وما قيل عن أنه عاش طفلًا متشرِّدًا ليس صحيحًا ... فقد تربَّى في أفضل المدارس ... وأحسن الجامعات ... ويحمل شهادات عليا في القانون ... ولكنه اختار حياة الجاسوس والمهرِّب عندما كان في الثلاثين من عمره ... عندما اتُّهم بالقتل الخطأ وحُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ... وفي السجن تَغيَّرتْ شخصيتُه تمامًا ... وتَعرَّف على رجال العصابات والجواسيس،

وخرج من السجن وقد عقد صلات مُختلِفة مع العالم السفلي ... واختار شخصية «روكو» ليُخفيَ وراءها حقيقة نشاطه ...

واستطاع «روكو» بذكائه وبمعرفته بالقانون أن يُقيم حياته ببساطة ... فهو عبيط الشوارع الذي تضحك عليه الناس ... وهو أيضًا الجاسوس المهرب الذي لا يعرفه أحد.

ويملك «روكو» طائرة خاصة من طراز «جيت ستار» النفاثة ... ويَخْتًا من أفخر أنواع اليخوت يقضي فيه أغلب وقته. وقد اختار تهريب السلاح كأحد مجالات نشاطه، وجزءٌ كبيرٌ من الأسلحة التي تهرب إلى مختلف الدول ... قام بتهريبها «روكو» ... وقضية الأسلحة هي التي دفعت جهاز المخابرات في دولة عربية لأن تطلب من «ش. ك. س» البحث عن «روكو» ...

وفي صفحة مستقلة، كتب جهاز المخابرات نوع الصفقة التي تمَّ الاتفاق عليها مع «روكو» ويصل ثمنها إلى ٤٠ مليون دولار ...

وجاء في هذه الصفحة:

ذهب مندوبنا إلى جزرية «بريادوس»، وهي جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الشرقي للبحر الكاريبي ... وكان «روكو» قد حدَّد هذا المكان لاستلام الشحنة، وكان أهمها أجهزة توجيه للمدفعية بأشعة الليزر ... كان الموعد منذ ثلاثة أسابيع في الفجر عند الشاطئ الشمالي للجزيرة ... وكان المتَّفق عليه أن يتم نقل الأسلحة والأجهزة من سفينة شحن تُدعى «ميلوس» إلى سفينة الشحن الخاصة بنا ... ولكن «ميلوس» لم تظهر في موعدها ... واستمر الانتظار أسبوعًا كاملًا دون أن تظهر ... وعندما عاود مندوبنا الاتصال بـ «روكو» لم يجده ... والمشكلة أن «روكو» تَسلَّم ربع ثمن الصفقة ... أي عشرة ملايين دولار مقدمًا ... لقد تعامَلنا من قبل مع «روكو» وكان دقيقًا في مواعيده، وفي حساباته ... وهذه هي المرة الأولى التي يُخلِف فيها موعدًا للتسلُّم ... وما نطلب الإجابة عليه هو: أين ذهب «روكو»؟ وهل هو حيٌّ أم ميت؟

إننا نطلب مساعدة الشياطين في الردِّ عن هذين السؤالين ...

مزيد من المعلومات

قرأ رقم «صفر» هذا التقرير، وجلس صامتًا لحظات، ثم قرأه مرة أخرى، ووضع تحت بعض السطور الهامة علامات ... وطلب من قسم التصوير إعداد ١٣ نسخة من التقرير ... وطلب من القسم الإداري توزيع هذه النسخ على الشياطين الـ ١٣ ...

انهمك الشياطين الـ ١٣ في قراءة التقرير ... وقد كان تقريرًا ممتعًا، لم يسبق له مثيل خلال مغامراتهم الكثيرة ...

ورفع «أحمد» سماعة التليفون الداخلي، وطلب «عثمان» ووجده يضحك قائلًا: كنت سأطلبك فورًا.

أحمد: ما رأيك؟

عثمان: قصته ممتعة.

أحمد: بعد أن قرأت التقرير، ترى أين نبحث عن «روكو» في «نيويورك» أم في «بربادوس».

عثمان: نبحث عنه في كل مكان.

أحمد: إن كل مكان تعني العالم كله ...

ومن غير المعقول أن نبحث في أرجاء الكرة الأرضية عن هذا العبيط؟ ...

عثمان: وهل هو عبيط فعلًا؟

أحمد: وماذا ترى أنت؟

عثمان: أتوقع أن يقترح رقم «صفر» أن يقوم فريقان بالبحث ... واحد في «نيويورك» ... والثاني في شواطئ البحر الكاريبي.

عثمان: وإلى أين تفضل الذهاب؟

أحمد: إنَّ اسم «بربادوس» يثير ذكريات القراصنة، ولعلك تذكر أن أكثر الروايات التي ألفها «رفائيل سبايتني» عن القراصنة كانت تدور في هذه المنطقة ... أسماء الموانئ مثل: «جاميكا» ... و«بورت ريكو» و«هسبانيولا»، ورجال من أمثال الكابتن «مورجان».

عثمان: بالمناسبة يا «أحمد» هل الكابتن «مورجان» شخصية حقيقية؟

أحمد: نعم ... لقد كان قرصانًا شَرِسًا، كسب من مغامراته في البحار الكثير ... ويقال إنه دفن كنزًا من المجوهرات يُساوي الملايين في منطقة من هذه المناطق.

عثمان: وهل تُريد أنت إحياء ذكريات القراصنة؟

أحمد: إنها لم تَعُد ذكريات ... فما حدث في صفقة الأسلحة هو نوع من القرصنة.

عثمان: وهل تعتقد أن «روكو» استولى على الملايين العشرة وهرب؟

أحمد: لا أظن ذلك ... ماذا ترى أنت؟

عثمان: أشمُّ في هذه المغامرة رائحة دولة أجنبية تَدَخَّلتْ حتى لا تحصل الدولة العربية على صفقة الأسلحة.

أحمد: أعتقد أن أنفك العزيز يشمُّ جيدًا.

وتمَّ استدعاء الشياطين إلى قاعة الاجتماعات الكبرى للقاء رقم «صفر» ... وكانت خريطة كبيرة لجنوب «أمريكا» مضاءة قد ظهرت أمامهم ... وبدا واضحًا فيها الشواطئ الجنوبية «للولايات المتحدة الأمريكية» ... و«المكسيك» و«كوبا» ... ومجموعة الجزر المتناثرة في خليج «المكسيك» والبحر «الكاريبي» ...

وقال رقم «صفر»: أعتقد أنكم جميعًا قد قرأتم التقرير الذي وصلنا من مخابرات دولة عربية ... لقد بذل رجال المخابرات جهدًا كبيرًا في محاولة معرفة مصير «روكو» ولكن دون جدوى ... وقد تأكد للمُخابرات أن شحنة الأسلحة قد تمَّ شحنها على السفينة «ميلوس» فعلًا ... وأنها اتجهت إلى خليج «المكسيك»، وأنها وصلت قريبًا من جزر «البهاما» ... ثم اختفت بعد ذلك ولم تصل إلى الميناء النهائي «بربادوس» ...

سألت «إلهام»: هل المطلوب البحث عن «روكو» أم عن «ميلوس»؟

ردَّ رقم «صفر» عن الاثنَين معًا ... وبالطبع إذا عثرنا على الشحنة واستطعنا نقلها إلى سفينة عربية، فإن مهمتنا تكون قد انتهت.

وصمت رقم «صفر» قليلًا ثم قال: لقد وعدتنا الدول العربية التي تُريد الشحنة أنها سوف تَمنح «ش. ك. س» عشرة بالمائة من قيمة الصفقة كلها؛ أي ٤ ملايين دولار لدعم نشاط المنظمة إذا استطعنا العثور على الشحنة وتحميلها على سفينة عربية.

قال «أحمد» ضاحكًا: وما هو نصيب الشياطين الـ ١٣ من هذا المبلغ يا سيدي؟

رد رقم «صفر»: لقد قررنا تخصيص المبلغ لتطوير بعض الأسلحة الخاصة بكم ... ولكن هناك مكافأة أخرى.

أحمد: هل يمكن أن نعرفها الآن؟

رقم «صفر»: لا ... ولكن بعد إتمام العملية.

أحمد: على سبيل التشويق؟

رقم «صفر»: نعم ... على سبيل التشويق.

رشيد: وإذا عثرنا على «روكو» فقط؟

رقم «صفر»: إن الدولة العربية وعدت بالمبلغ إذا استطعنا توصيل الشحنة سالمة إلى السفينة العربية.

رشيد: إذن لماذا نبحث عن «روكو»؟ إن مهمتنا هي شحنة الأسلحة.

رقم «صفر»: إنَّ «روكو» سيقودكم إلى شحنة الأسلحة ... إنه الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يُفسِّر ماذا حدث؟

أحمد: هل هناك احتمال لعملية تخريب، وأن تكون السفينة قد انحرَفَت بشحنتها؟

ردَّ رقم «صفر»: هذا احتمال ممكن.

أحمد: متى نبدأ يا سيدي؟

رقم «صفر»: فورًا ... وعليكم تقسيم أنفسكم إلى مجموعات ... تسافر كل مجموعة إلى أحد أماكن الأحداث ... مجموعة إلى «نيويورك» ... ومجموعة إلى جزر «البهاما» حيث شوهدت السفينة «ميلوس» لآخر مرة، ومجموعة إلى «بربادوس» حيث الميناء النهائي الذي كانت ستُسلَّم فيه الشحنة.

أحمد: هل هناك عملاء لكم في منطقة جزر «البهاما» أو في «بربادوس»؟ إننا نعرف عميلنا في «نيويورك».

رقم «صفر»: لا، ولكن يشرف على هذه المنطقة من ناحيتنا عميل مُمتاز في «ميامي» اسمه «موندیلا» ... وآخر في «المكسيك» واسمه «ناسو» ... وستصلُكم الأرقام التليفونية والشفرة الخاصة بالاتصال بهما.

انفضَّ الاجتماع ليَنعقِد اجتماع آخر بين الشياطين الـ ١٣ ... لتقسيم العمل بين المجموعات وتحديد أنواع الأسلحة، وأجهزة اللاسلكي التي تربط المجموعات حتى يمكن تبادل المعلومات بينهما.

واستقرَّ الرأي في النهاية على تقسيم المجموعات ... فمجموعة «نيويورك» وتضم فيها: «بو عمير» ومعه «هدى» و«فهد» و«خالد» و«ريما».

ومجموعة جزر «البهاما» وتضم: «قيس» و«باسم» و«رشيد».

ومجموعة «بربادوس» وتضم: «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«زبيدة». وتخلَّف «مصباح» عن العمل لإصابته بمرض طارئ ...

وبدأ الاستعداد للسفر ...

الرصاصة الصامتة!

عندما هبطت الطائرة الجامبو «٧٤٧» في مطار «ميامي» ليلًا فوجئ الشياطين بوجود «مونديلا» عميل رقم «صفر» في المطار ... كان رجلًا قصير القامة ... مُمتلئ الجسم، يضع وردة حمراء في عروة «الجاكت» ويمسك منديلًا أبيض في يده اليُمنى ... وصحيفة في يده اليسرى، وكانت هذه هي العلامات المُتَّفق عليها إذا شاء الشياطين الأربعة مقابلة «مونديلا».

أخذ «مونديلا» يَمسح عرقه المتصبِّب بمنديله، وهو يُرحِّب بالشياطين قائلًا: يوم حار.

أحمد: هل طلب منك رقم «صفر» أن تقابلنا؟

مونديلا: نعم ... فقد حدثت تطورات.

أحمد: خيرًا.

مونديلا: هناك صياد سمك شاهد السفينة «ميلوس» عند شاطئ جزيرة «سانتا لوتشيا»، وهي جزيرة صغيرة قرب «بربادوس»، وقد باع بعض السمك للسفينة ... وقد قابلت هذا الصياد أمس عندما قمت بجولة أخيرة في «بردج تاون» عاصمة «بربادوس» ... وقد أبلغت رقم «صفر» بذلك فطلب مني أن أبلغكم بمجرد وصولكم.

أحمد: هذه معلومات هامة فعلًا ... وتؤكِّد أن الصفقة كانت ستتم في موعدها.

مونديلا: لقد طلبت من الرجل ألا يخبر أحدًا بهذه المعلومات ومنحته مبلغًا طيبًا.

أحمد: أين هو الآن؟

مونديلا: في «بربادوس» حيث يملك قاربًا لصيد السمك، وأنا أعرف الكوخ الذي يعيش فيه.

أحمد: إذن نُسافر فورًا إلى «بربادوس».

موندیلا: لقد استأجرتُ لكم فيلا على الشاطئ، و«بربادوس» جزيرة سياحية، فلن يُضايقكم أحد.

أحمد: هل نجدُ تَذاكر الآن إلى «بربادوس»؟

موندیلا: أعتقد أنه من المُمكن تدبير ذلك.

وقف الشياطين الأربعة في مطار «ميامي» يُناقشون المعلومات الجديدة التي حصل عليها «موندیلا».

وقال «عثمان»: أعتقد أن وجود «ميلوس» عند «سانتا لوتشيا» يعني أن «روكو» كان جادًّا في عقد الصفقة.

زبيدة: ولماذا لم تُفكِّر هل كانت شحنة السفينة جاهزة أم لا؟ ... إن رجلًا ذكيًّا مثل «روكو» استطاع أن يخدع العالم، ويمكن أن يخدع الدولة العربية؛ إن في إمكانه مثلًا أن يرسل «ميلوس» فارغة ... أو عليها شحنة ليست ذات قيمة.

إلهام: إن ذلك مُمكن ... في التجارة السرية أو غير الشرعية كثيرًا ما يحدث خداع غريب ... إن إغراء الملايين كثيرًا ما يكون أهمَّ وأخطر من الاتفاقات.

عثمان: ولكن هناك كلمة شرف بين اللصوص ... كما يقولون.

زبيدة: كيف يُمكن أن يكون للصِّ شرف؟

أحمد: هذه مناقشة فلسفية ... والمُهم الآن العثور على «روكو» أو «ميلوس».

زبيدة: لا بأس ببعض الفلسفة أحيانًا.

ووصل «موندیلا» وهو يُمسك بالتذاكر ... وقد بدا وجهه مُتهلِّلًا كأنه حقَّق انتصارًا ضخمًا، واتجهوا جميعًا إلى الممر الفرعي حيث كانت تقف طائرة بوينج «٧٣٧» ... وكان موعد الإقلاع بعد ساعة ونصف ... وقرَّر الشياطين أن يذهبوا إلى الكافتيريا لتناول بعض المرطبات ...

جلسوا ومعهم «موندیلا» على مائدة منعزلة ... ولم يكن ف في المكان سواهم ... ومجموعة من السيَّاح يجلسون على مائدة بعيدة ... وكان «موندیلا» يفيض مرحًا وهو يتحدث إليهم ...

لقد دُهش الشياطين لأنه أول عميل لرقم «صفر» يتمتع بهذا القدر من خفَّة الدم، وكان يتحدث عن «بربادوس».

إنَّ «بربادوس» آخر جزيرة في مجموعة جزر «البهاما» ... بعدها المحيط ... كأنَّها رجل وحيد في المياه ... وقد انتعش اقتصاد الجزيرة كثيرًا بعد أن تدفَّق عليها السواح

من كل مكان ... لقد سهلت سلطات الجزيرة إجراءات الدخول ... وخفَّضت النفقات ... وأصبحت الفنادق تغصُّ بالسائحين على مدار السنة.

عثمان: شيء جميل.

موندیلا: إنَّ «بربادوس» يسمونها الجزيرة الحلوة ... ففيها يُزرع قصب السكر ... بل إن موردها الرئيسي هو زراعة قصب السكر وتكريره وتصدير السكر إلى جميع أنحاء العالم ... ولكنَّهم فكَّروا أنَّ هذا لا يكفي ... فأضافوا الأدوات الكهربائية ثمَّ السياحة ... إنَّ السياحة هي الآن المصدر الرئيسي للدخل في الجزيرة.

وصمت «موندیلا» قليلًا ثم عاد يقول: إنَّ قصب السكر في «بربادوس» ليس مثل قصب السكر عندكم في البلاد العربية ... إنه كثيف كثافة هائلة ... وطويل ... إنك تستطيع أن تُخفيَ فيه فيلًا إفريقيًّا دون أن يراه أحد ...

ولم يكد يكمل «موندیلا» جملته حتى سمع الشياطين أزيز رصاصة صامتة ... ثم شاهدوا «موندیلا» وهو يُحملِق في الفضاء في دهشة ويسقط على وجهه ...

قفزت زبيدة بسرعة في الاتجاه الذي جاءت منه الطلقة ... واستطاعت أن ترى رجلًا يمرق من خلال باب الخروج، يلبس قميصًا أحمر مخططًا بالأسود ... وعندما وصلت إلى الباب كان الرجل يستقلُّ سيارة «شيفروليه» سوداء تنطلق به بسرعة ... واستطاعت زبيدة أن تَلتقِط رقم السيارة ... وعندما استدارت لتعود وجدت الشياطين الثلاثة قادِمِين ناحيتها ... وأشارت إلى «إلهام» أن تُغادر المكان.

عندما اجتمع الشياطين الأربعة خارج الكافيتريا كان «أحمد» يتلفت حوله ثم قال: لم يكن أمامنا ما يمكن عمله لـ «موندیلا» ... لقد أخذنا كل أوراقه والنقود ... وسوف نواصل رحلتنا.

زبيدة: إنني أستطيع التعرف على القاتل، فقد شاهدته يركب السيارة ... وهو شاب صغير السن ممَّن تستخدمهم العصابات في عمليات القتل. ولا يُهمُّها مصيره ... إنه طويل القامة، نحيف، وفي قدمه اليُمنى عرج خفيف يمكن تمييزه ... وقد التقطت رقم السيارة.

أحمد: هذه المعلومات سنتركها جانبًا الآن، لقد عرفنا بداية أن هناك مَن يُهمه تعويق مهمتنا؛ فقتل «موندیلا» هو نوع من الإنذار لنا، ومحاولة في نفس الوقت لشغلنا عند الهدف الرئيسي الذي جئنا من أجله.

عثمان: ولكن لو عثرنا على قاتل «موندیلا» فسوف يقودنا هذا إلى التنظيم الذي يعمل ضدنا.

أحمد: إننا لا نعرف خفايا وخبايا «ميامي»، وسوف يضيع وقتٌ طويلٌ في البحث عن هذا القاتل، ومن الأفضل أن نسافر إلى «بربادوس» لنقابل الصياد، ولحسن الحظ وجدت اسمه وعنوانه ضمن أوراق «موندیلا»، وعلى كل حال سوف يَكتشفون الجثة حالًا ... وسيبدأ البوليس تحقيقاته، ومن الأفضل ألا نكون هنا حتى لا نخضع لاستجواب البوليس.

زيكو!

أقلعت الطائرة في موعدها إلى «بردج تاون» عاصمة «بربادوس»، وكانت المسافة نحو ١٥٠٠ كيلومتر قطعتْها في ساعة وأربعين دقيقة تقريبًا ... وعندما هبطت على مدرج المطار واجهتها ريح معاكسة، فاضطربت قبل أن تنزل بسلامٍ.

كان ضمن الأشياء التي أخذها «أحمد» من «مونديلا» مجموعة من المفاتيح ... من بينها كما توقع مفتاح سيارة مرسيدس ... ومفتاح الفيلا ... وعندما خرجوا من المطار شاهدوا سيارة مرسيدس ٥٠٠ من أحدث طراز تقف في مكان انتظار السيارات ... وعندما جرب «أحمد» المفتاح انفتح باب السيارة على الفور ... وركب الأربعة وانطلقوا بالسيارة إلى الفيلا التي كان عقدُ إيجارها ضمن أوراق «مونديلا» وبه العنوان ...

كانت الفيلا خارج العاصمة ... وأخذت السيارة تقطع الطريق مع تكثُّف الظلام الذي يسبق الفجر، ولاحظ الشياطين الأربعة على الفور كثافة مزارع قصب السكر الذي يرتفع إلى ما فوق قامة الشخص ...

وأخذ «عثمان» الذي كان بجوار «أحمد» يفحص الخريطة الصغيرة للعاصمة ... ويدلي إلى «أحمد» بالبيانات اللازمة عن الطريق ... حتى أشرفوا بعد نحو ٤٥ دقيقة على تل مرتفع تُظلِّله الأشجار العالية ... وقطعوا طريقًا فرعيًّا نازلًا إلى البحر ... وشاهدوا الفيلا التي اختارها «مونديلا» لهم، وأحسُّوا بالأسف على مصيره ...

كانت الفيلا تحفة معمارية من الطراز القديم ... تحيط بها حديقة حفلت بأشجار الفاكهة، وكان أكثرها من الموز ... وعندما توقفت السيارة تمامًا برز من الظلمة شبح رجل ... ووضع الجميع أيديهم على مسدَّساتهم ... ولكن الرجل تقدَّم ليرحب بهم.

كان رجلًا عجوزًا، لكنه فارع الطول، قويُّ البنية ... شديد السمرة التي تميز سكان هذه البقعة من العالم ... وعرَّفهم بنفسه، قائلًا: خادمكم «زيكو» ... البواب والطباخ ... لقد اختارني السنيور «موندیلا» لأنه يَثق بي ... وأرجو أن أكون عند حُسْن ظنه.

وقدَّم «أحمد» لـ «زيكو» مجموعة الأصدقاء بأسماء مُستعارة ... ثم حمل الرجل الحقائب وفتح باب الفيلا ... ودعاهم للدخول ...

كانت الفيلا من الداخل لا تقلُّ فخامة وروعة عن معمارها الخارجي ... ومرة أخرى تحسر الشياطين على «موندیلا».

قال «أحمد»: إننا في أشد الحاجة إلى الراحة ... ولكن لا تدعْنا ننام أكثر من ثلاث ساعات ... كم ساعتك الآن؟

زيكو: إنها الخامسة يا سنيور.

أحمد: إذن في الثامنة توقظنا.

زيكو: هل من طلبات خاصة بالإفطار؟

أحمد: لا ... الوجبة العادية مع الشاي.

زيكو: أرجو لكم نومًا طيبًا.

صعدت «إلهام» و«زبيدة» إلى غرف النوم في الطابق الثاني من الفيلا، بينما اختار «أحمد» و«عثمان» أن يناما في غرفة صغيرة بالطابق الأرضي ... وقد استغرق الأربعة في النوم فورًا.

استيقظ الشياطين الأربعة في موعدهم على رائحة إفطار شهي من عجة البيض بالتوابل، ورائحة القهوة القوية ... وكان «زيكو» الطيب يَبتسم لهم ابتسامة أبوية، وهم يتناولون إفطارهم بشهية ...

والتفت «أحمد» إليه قائلًا: هل عندك فكرة عن الصياد «براند»؟

ردَّ «زيكو»: إنني أعرف «براند» منذ سنوات طويلة؛ فهو قريبي من ناحيةٍ، ومن ناحية أخرى كنا نصطاد السمك معًا في البحر «الكاريبي» الذي أعرفُه كما أعرف راحة يدي.

اهتمَّ «أحمد» بهذه الإجابة اهتمامًا كبيرًا وقال: إذن أنت عرفت من «براند» ما شاهَدَه ... أقصد السفينة «ميلوس»؟

زيكو: نعم ... خاصة عندما عرفت اهتمام جهات كثيرة بأمر هذه السفينة، سألتُ «براند» عنها فقال لي: إنه شاهدها، وباع بعض أسماكه للبحارة.

أحمد: هل يمكن أن تأخذنا إلى «براند»؟

زيكو: طبعًا ... إنه يعيش في كوخ صغير على الشاطئ الشمالي للجزيرة ... وليس بيننا وبينه إلا مسافة نصف ساعة بالسيارة.

أحمد: سنَذهب أنا وأنت وصديقي إليه.

وبعد انتهاء الإفطار، قفز «أحمد» إلى السيارة المرسيدس وبجواره «زيكو» لإرشاده إلى الطريق، بينما ركب «عثمان» في المقعد الخلفي للسيارة ... وبقيت زبيدة و«إلهام» في الفيلا، وقد قرَّرتا قضاء الصباح في السباحة في الحمام الجميل الموجود بالحديقة ...

كان صباحًا مشرقًا ... وريحٌ خفيفة تهبُّ من البحر إلى الشاطئ، وكان «أحمد» و«عثمان» في حالة طيبة ... وعلى استعداد للعمل.

وأخذ «أحمد» يتحدَّث إلى «زيكو» أثناء الطريق ... وعندما تكرَّر اسم «موندیلا» كثيرًا في الحديث ... اضطر «أحمد» في النهاية إلى أن يُخبر «زيكو» عن نهاية «موندیلا» المؤلمة.

وقد كان ذلك صدمة فظيعة لـ «زيكو»؛ ولكنه تمالك نفسه وقال: إنه سيعود للعمل في صيد السمك بعد أن فقَدَ وظيفته.

ولكن «أحمد» طمأنه قائلًا: لا تخشَ شيئًا فسوف يأتيك مُرتبك كل شهر في موعده ... وكل المطلوب منك أن تُؤدِّي ما نطلبه منك.

زيكو: إنني أشكرك كثيرًا يا سنيور.

أحمد: أنا الذي أشكرك.

وصلوا إلى شاطئ شبه مهجور ... كان كوخ «براند» يُلامس مياه المُحيط الزرقاء الداكنة ... وكان قاربه الصغير ... وأدوات الصيد ... وبعض الأشياء القديمة هي كل ما في المكان ...

توقفت السيارة قرب باب الكوخ ... ونزل «زيكو» واتجه إلى باب الكوخ الخشبي ... ودقَّه ... وبعد لحظات ظهر «براند» ... وكان شكله مُفاجأة لـ «أحمد» و«عثمان».

كان «براند» رجلًا قصير القامة، قوي البنيان، أسمر مع حمرة أضفتها عليه أشعة الشمس ... منكوش الشعر، له لحية طويلة، وقد انتشَرَ الوشم على ذراعَيه وصدره ... يَرتدي سروالًا ممزَّقًا، وقميصًا قديمًا ... وفي رقبته سلسلة ضخمة من المعدن الصدئ تَنتهي بميدالية.

كان شكلُه ينتمي إلى الماضي ... كأنه قرصان قديم من قراصنة القرن التاسع عشر ... وتبادل «زيكو» و«براند» التحيات بهزِّ الأيدي، والتربيت على الأكتاف ... وتحدثا لحظات ... ثم أقبلا إلى السيارة حيث نزل «أحمد» و«عثمان» للحديث إلى «براند» ...

وفي هذه اللحظة دوَّى في الفضاء الساكن صوت محرك سيارة تقترب ... وأحس «أحمد» بالخطر ... اندفع «أحمد» على الفور إلى «براند»، وألقى نفسه عليه ... فألقاه أرضًا، وفي ثانية فعل «عثمان» نفس الشيء مع «زيكو» عندما انطلقت مجموعة من الرصاص من مدفع رشاش ناحيتهم، وتدحرج الأربعة إلى أسفل التل ... بينما سمعوا صوت محرِّك السيارة وهو يخفت تدريجيًّا، فقد انطلقت السيارة مبتعدة ...

نيران على الشاطئ

صاح «أحمد» بالجميع: اختفوا خلف التلال ... إنهم سيعودون مرة أخرى.

ولم يكد يَنتهي «أحمد» من جملته حتى سمعُوا دويَّ محرك السيارة، ثم زفات الرصاص وهي تطير في اتجاههم ... وأخرج «عثمان» من حقيبته الصغيرة قُنبلة يدوية صغيرة ... ثم أخذ نفسًا عميقًا، وأرسلها في الفضاء في شكل دائرةٍ سقطت فوق السيارة ... وسمعوا الدويَّ، ثم اندلعت النيران ...

وقف «أحمد» وهو يقول: لم تَقُل لي إنَّ معك قنابل يدوية!

عثمان: كثيرًا ما أحسُّ أنني مُحتاج لشيءٍ ما ... وسرعان ما يتحقَّق إحساسي.

وصعدوا جميعًا إلى التل، بين ذهول «زيكو» و«براند»، واتجهوا إلى السيارة في محاولة لإنقاذ من فيها ... ولكن لم يكن في الإمكان عمل شيء ... فقد انفجر خزان الوقود وتحوَّلت السيارة إلى كتلة من النيران.

قال «أحمد»: سيلفت الانفجار الأنظار ... علينا أن نغادر المكان مؤقتًا.

وركب الجميع السيارة، وقال «براند»: ما هي الحكاية؟

أحمد: نقدِّم أسفنا لإزعاجك يا سيد «براند» ... إن هناك عصابة إجرامية تطاردنا.

براند: ولماذا لم تبلغوا الشرطة؟

أحمد: إن طبيعة مُهمتنا سرية، ونحن لا نعتدي على أحد إلا إذا اعتدى علينا.

عثمان: إلى أين نذهب؟

رد «زيكو»: إنكم قريبون من منزلي ... وسيُشرِّفني أن تكونوا ضيوفًا في بيتنا المتواضع.

بعد مسيرة ربع ساعة ... أشرفوا على مزرعة للقصب تمتد إلى الشاطئ، وأشار «زيكو» إلى كوخ أحمر وقال: هنا تسكن عائلتي.

اتَّجهت السيارة إلى الكوخ ... كانت هناك سيدة سمراء بدينة في نحو الخمسين من عمرها، باسمة الوجه، تقف وبجوارها صبي نحيل، وقال «زيكو»: هذه هي عائلتي الصغيرة ... إنَّ الأولاد الكبار تزوَّجوا وذهبوا بعيدًا.

وتبادل الجميعُ السلامَ ... وأحضر «زيكو» بعض المقاعد القديمة وجلسوا في شبه حلقة على الشاطئ ... بينما انصرفت السيدة السمراء لإعداد القهوة ...

قال «أحمد»: يا أخ «براند»، لقد رأيت سفينة شحن تدعى «ميلوس» في مكان ما قرب «سانتا لوتشيا» ... وقد قال صديقنا «موندیلا»: إنك ستتحدَّث إلينا.

براند: نعم ... كنتُ أصطاد هناك، عندما شاهدت في مكان مهجور من الشاطئ هذه السفينة ... وكانت شحنتها مُغطَّاة بالقماش، فلم أعرف ما فيها ... ولكن السفينة كانت غاطسة في المياه إلى حدٍّ كبيرٍ ... وإنني كصياد أعرف أن السفينة إذا غطست كثيرًا فمعناه أن الشحنة ثقيلة.

أحمد: هذه معلومات هامَّة.

براند: اقتربت من السفينة ... كانت الماكينات متوقفة ... وأشرتُ إليهم إذا كانوا في حاجة إلى بعض السمك فوافَقُوا ... ولم أصعد إلى ظهر السفينة، فقد نزل لي واحد منهم واشترى كل ما معي من أسماك.

أحمد: ماذا كان لون السفينة؟

براند: من السطح حتى الغاطس بيضاء، أما الباقي فلونه أزرق داكن.

أحمد: هل يُمكن أن تقودنا إلى نفس المكان؟

براند: بالطبع ... إنني أحفظ كل شبرٍ من المياه على شواطئ هذا المحيط.

أحمد: من الأسهل أن نذهب في زورق سريع حتى لا نَفقد كثيرًا من الوقت.

زيكو: إني أعرف صديقًا عنده لانش مُمتاز يُؤجِّره للنزهات.

أحمد: هذا هو مطلبنا.

عثمان: لنذهب الآن.

فكَّر «أحمد» لحظات ثم قال: أظن من الأفضل أن نذهب في المساء يا «عثمان»، فإنني أخشى أن يطاردنا أحد.

عثمان: ولكنَّكَ منذ لحظات كنت تقول إننا يجب أن نسرع.

أحمد: هذا صحيح ... ولكن من الأفضل أن نتحرك ليلًا، وفي نفس الوقت حتى لا نترك «زبيدة» و«إلهام» وحدهما.

عثمان: معك حق.

التفت «أحمد» إلى «زيكو» وقال: أيها الأخ «زيكو»، نرجو أَلَّا تنسى أن تأتيَ بـ «براند» معك ... وأنت الآن في إجازة حتى المساء.

وضع «أحمد» يده في جيبه، ودفع لـ «زيكو» مبلغًا من المال، وجاءت القهوة ... وتناولها «عثمان» و«أحمد» على عَجَلٍ ... ثم قفَز هو و«عثمان» إلى السيارة، وانطلقا بها مُسرعَين عائدَين إلى الفيلا ...

لحُسْن الحظ وجد «أحمد» و«عثمان» كلَّ شيء على ما يرام ... كانت «إلهام» و«زبيدة» قد قضيَتا وقتًا ممتعًا في حمام السباحة، ثم جلستا في الشمس الهادئة ...

روى «عثمان» لـ «زبيدة» و«إلهام» تطورات الأحداث، بينما قام «أحمد» بالاتصال بمجموعة الشياطين في جزر «البهاما» وأخبرهم بما حدث تليفونيًّا ... وطلب منهم إخطار مجموعة «نيويورك» وأن يتصلوا بهم باستمرارٍ، واتفقا على كلمة السر: «روكو».

ردَّ «رشيد»: أليس من الأفضل أن نأتي إليكم؟

أحمد: لا ... ولكن إذا اختفَت أخبارنا لأي سبب؛ فهناك شخص يُدعى «زيكو» سيعرفكم أين ذهبت بالضبط ... إنه حارس الفيلا التي نقيم فيها.

في المساء وصل «اللانش» ... كان فعلًا زورقًا رائعًا، وركب الشياطين الأربعة ومعهم «براند» وطلب «أحمد» من «زيكو» أن يبقى، وقال له إنهم إذا تأخروا فإن هناك أصدقاء سيتصلون بهم ... وستكون أول جملة في الحديث هي: هل «روكو» موجود؟

انطلق اللانش بقيادة «براند» الذي كان سعيدًا؛ لأنه يقود مثل هذا اللانش الفاخر ... وفي نفس الوقت لأن «أحمد» أعطاه مبلغًا كبيرًا من المال ...

بعد ساعة من الإبحار شمالًا ... أخذ «براند» يقلل من سرعة الزورق وقال: إن المكان هنا خطر ... هناك آلاف من الصخور ولا بد أن نسير على مهلٍ ... وفجأة على ضوء اللانش شاهد الجميع نارًا تلمع على شاطئ قريب ... كانت النار تَرتفِع وتنخفض بطريقة منتظمة ...

قال «براند»: إنه شخص يطلب النجدة.

أحمد: وماذا ترى؟

براند: لا بدَّ أن نذهب إليه.

واتجه اللانش إلى الشاطئ، وقاده «براند» بمهارة حتى وصلوا إلى المكان الذي شاهدوا فيه النار ... واستعد الشياطين الأربعة بالمسدسات، بينما قفز «براند» إلى البر، وبعد لحظات شاهدوا «براند» عائدًا ومعه رجل آخر ... كان الرجل في منتهى الإعياء، ويسير مترنحًا ...

وصاح «براند»: إنه صديق ... إنه جاء لي.
أحمد: وماذا أتى به إلى هذا المكان؟
براند: لقد كان على سطح السفينة «ميلوس».
أحمد: «ميلوس» ... هل هذا معقول؟

خطة للنوم

كان البحار العجوز في حالة يُرثى لها ... واهتم الشياطين به ... فقدموا له مشروبًا ساخنًا، ودثروه بالأغطية، ثم قدموا له بعض الطعام الدافئ، فاستردَّ نشاطه ...

وكان «أحمد» متلهِّفًا لسماع أقواله فسأله «أحمد»: هل كنت على ظهر السفينة «ميلوس» حقًّا؟

ردَّ البحار: نعم يا سيدي ... كنتُ أصطاد في الخليج عندما اقتربت منِّي السفينة، وسألَني أحدهم إذا كنت أريد أن أكسب بعض المال، وبالطبع كنت في أشدِّ الحاجة إليه ... فطلبوا منِّي الصعود إلى ظهر السفينة ... وجاء أحدهم وطلب منِّي أن أدلهم على خليج هادئ بعيد عن الأنظار يُمكن أن تستقرَّ فيه السفينة فترة من الوقت لا يراها أحد ... وكان ذلك مطلبًا سهلًا ... فأنا أعرف كما يعرف «براند» عشرات الخلجان في الجزيرة الكبيرة ... حيث لم يَذهب إليها إنسان من قبل ...

بدأت الصورة تتَّضح في ذهن «أحمد» تدريجيًّا ... وقال للصياد: وذهبت بهم إلى الخليج؟

الصياد: نعم ... ذهبت بهم إلى خليج هادئ في قلب جزيرة هادئة ... وفوجئتُ بأنهم منعوني من مغادرة السفينة بعد ذلك ... وحاولت مرارًا أن أُفهمهم أنني لا بد أن أعود إلى أسرتي سريعًا؛ لأن زوجتي مريضة وفي حاجة إلى نقود ... ولكنهم هددوني بالقتل ... واضطررتُ للصمت ... ولكنني ظللت أتحيَّن الفرصة للفرار ... وهكذا غافلتهم أمس ليلًا، ثم قفزت إلى الماء وأسرعت بالعوم إلى هنا.

أحمد: هل المسافة بعيدة؟

الصياد: نحو عشرين كيلومترًا.

أحمد: وهل يمكن أن تقودنا إليها؟

تردَّد الصياد لحظات ثم قال: لماذا؟

أحمد: دعك من السؤال ... وسوف ندفع لك ما تريد.

الصياد: لا ... لن أذهب إلى هناك مرة ثانية.

عندئذٍ تدخل «براند» قائلًا: إذا وصفت لي المكان فإنني أستطيع الذهاب إليه.

الصياد: بالطبع أنت تعرفه ... إنه خليج الوطاويط.

براند: إنه مكان ممتاز لإخفاء سفينة ... فهو كهفٌ طبيعي يمتد إلى داخل الجزيرة ... عميق المياه ... ساكن ... لا يمكن رؤية ما به من الخارج مهما أمعنت النظر.

أحمد: سنذهب إليه فورًا.

صاح الصياد: أنصحك ألا تفعل ... إن السفينة مدججة بالسلاح ... وعليها أكثر من عشرين رجلًا ... ولكن ...

أحمد: ولكن ماذا؟

الصياد: هناك عدد من المساجين في قلب السفينة.

أحمد: كيف عرفت؟

الصياد: لقد سمعتُ رجلًا يتحدث مع آخر عنهم ... وقال إنهم سيتركونهم لمصيرهم على الجزيرة المهجورة عندما يأتي وقت إقلاع السفينة.

أحمد: وهل عرفت متى تقلع؟

الصياد: لا.

أحمد: لقد أعطيتنا معلومات هامة، وسنضاعف لك المكافأة سواء أتيت معنا أم لا.

عقد الشياطين الأربعة اجتماعًا ... وحسب معلومات الصياد كان الهجوم على الباخرة والاستيلاء عليها عنوة مهمَّة شبه مُستحيلة ... فالسفينة مساحتها لا تسمح بحرية الحركة أو المناورة ... وهي أيضًا في كهف ... إن اصطيادها مسألة سهلة ... ولو كانوا يخططون لنسف السفينة لكان الأمر سهلًا ... ولكن هناك أكثر من سبب يمنعهم ...

أولًا: الأسرى الذين بها، وهم في الأغلب القبطان والبحارة، وقد يكون «روكو» بينهم.

ثانيًا: شحنة الأسلحة التي تساوي ٤٠ مليونًا من الجنيهات ... وهم يريدون إنقاذها ...

ثالثًا: لفت الأنظار إلى وجودهم، وقد يقعون تحت طائلة القانون، وهو ما يجب على الشياطين تجنبه مهما كانت الأسباب ...

وقالت «إلهام»: الخطط البديلة إما أن نَنتظر مجموعة أخرى من الشياطين لنَزيد من عدد المهاجمين ... أو نُحاول إطلاق السجناء.

عثمان: فكرة إطلاق السجناء فكرة ممتازة.

أحمد: هل معنا رشاشات النوم؟

«إلهام»: عندنا أربعة بعددنا.

أحمد: إن خطتي هي تَسَلُّق السفينة ليلًا، وإطلاق رشاشات النوم على الحراس حتى لا يحسَّ أحد بوجودنا، والرشاشات ستُحدث أثرها سريعًا، أما نحن فسنغطس تحت المياه تجنبًا للإصابة بالنوم.

زبيدة: إن أسلحتنا خفيفة، فلماذا لا نؤجل العملية إلى الغد لإحضار الأسلحة الكافية؟

أحمد: المشكلة أن السفينة قد تتحرَّك ... فإذا خرجت إلى المحيط أصبح من الصعب العثور عليها بعد ذلك.

عثمان: إن خطة «أحمد» معقولة، وسوف نستولي على الأسلحة اللازمة من حرَّاس السفينة ... ومن الممكن بمعاونة الأسرى أن نستوليَ على السفينة كلها، ونُبحر بها إلى حيث نريد.

وافق الصياد العجوز على اصطحاب الشياطين بعد مناقشة بينه وبين «براند»، وأخذ القارب يشق طريقه إلى المحيط ... بينما أخذ «أحمد» والشياطين يعدُّون كرات النوم وهي في حجم كرة التنس ومصنوعة من مواد كيماوية تذوب في الماء، وتطلق دخانًا كثيفًا يؤدي إلى نوم أي شخص يستنشقه ...

لم يكن في إمكانهم الاتصال من هذا اللانش الصغير ببقية الشياطين أو برقم «صفر»، ولم يكن أمامهم إلا المحاولة التي يقومون بها في هذه الليلة الحالكة الظلام ...

تأكد الشياطين الأربعة من وجود الخناجر ... والمسدسات ... ورشاشات النوم، ثم تمدَّدوا في حالة استرخاء داخل اللانش في انتظار وصولهم إلى كهف الوطاويط ...

بعد نحو ساعة نزل «براند» إليهم قائلًا: إننا على وشك أن نصل إلى كهف الوطاويط ... ويجب أن تصعدوا إلى سطح القارب الآن ...

أسرع الشياطين بصعود السلم الداخلي، ووجدوا أنفسهم تحت سماء سوداء تضيئها النجوم البعيدة ... وقد بدأت الرياح تهب تدريجيًّا ... والأمواج ترتفع، ورغم قربهم من مكان كهف الوطاويط ... فإنه لم تكن هناك علامة واحدة تدل على وجود السفينة «ميلوس».

فهل غادرت السفينة مكانها إلى المحيط ... واختفت؟

مغامرة هادئة جدًّا

لم يكن أمام الشياطين إلا المحاولة ... وهكذا استعدُّوا للنزول إلى المياه الباردة ... وقد حمل كلٌّ منهم كمية من كرات النوم ... ومسدَّسًا موضوعًا في جراب من البلاستيك يَمنع تسرُّب الماء ... ومادة خاصة لإفاقة النائم ...

توقف الزورق في جانب من الجزيرة قريب من كهف الوطاويط ... وغاص الشياطين الأربعة في المياه ... وسبحوا بذراع واحدة، بينما الأخرى تحمل كرات النوم ... وبدءوا يقتربون من كهف الوطاويط ... دون علامة واحدة تدلُّ على وجود السفينة «ميلوس» ... لم يكن هناك إلا صوت الوطاويط الضخمة تطير رائحة غادية داخل الكهف ...

عندما وصلوا إلى فوَّهة الكهف استطاعوا رغم الظلام أن يروا شبح السفينة الضخم ... وأضواءً خفيفة جدًّا تنعكس على المياه الساكنة داخل الكهف ...

دخلوا الكهف في هدوء ... كأنهم مجموعة من الأسماك لا يحسُّ بحركتها أحد ... ثم اتجه اثنان يمينًا، واثنان يسارًا ... وتركوا كرات النوم تطوف على سطح المياه فتتفاعَل معها بشدَّة وتُطلِق غازها المنوِّم ... وأسرعوا يخرجون غائصين ... تحت الماء حتى لا يتأثروا بالغاز ...

سبحوا بعيدًا عن الكهف، واجتمعوا في المياه المُظلِمة ... وأخذوا في الانتظار ... كانوا في حاجة إلى ربع ساعة على الأقل حتى يبدأ تأثير الغاز ... وحتى يتلاشى تأثير الغاز نفسه في الهواء، وأيضًا حتى لا يؤثِّر فيهم ...

كانوا جميعًا مدرَّبين تدريبًا جيدًا على السباحة ... وعلى كيفية الطفو فوق سطح الماء بحركة بسيطة من القدمين ... وكانوا جميعًا يُفكِّرون في غرابة موقفهم الذي لم يحدث من قبل، وفي الساعات المقبلة، وما يفعلون فيها ...

ومضت الدقائق بطيئة ... وقالت «زبيدة»: إلى أين سنتجه بالسفينة إذا استطعنا الاستيلاء عليها؟

أحمد: إنه سؤال هام ... وقد أنستْنا الأحداث السريعة هذه النقطة.

عثمان: إن معنا الصياد «براند»، وسنطلب منه أن يتجه بالسفينة إلى مكانٍ آمنٍ.

قالت «إلهام»: من الأفضل الاتصال برقم «صفر» وإخطاره ... ونترك له حرية التصرف.

أحمد: هذا معقول ... ومن الممكن الاتصال بمجموعة «نيويورك»؛ ففي إمكانهم الاتصال به بسهولة.

ضغط «عثمان» على زِرِّ الإضاءة في ساعته الرقمية، واستطاع أن يرى قفزات الأرقام الصغيرة ...

وقال «عثمان»: لقد مضت ست عشرة دقيقة.

أحمد: هيَّا بنا.

واتجه الأربعة إلى مدخل الكهف مرة أخرى ... كانت الوطاويط التي شمَّت رائحة الغاز المنوم تنطلق في سحابة هائلة خارجة من الكهف وهي تطلق صيحاتها المذعورة ... كأنما قد وقعت غارة أو زلزال ...

وعندما دخل الشياطين الأربعة، كانت رائحة الغاز ما زالت واضحة ... ولكنهم يعرفون أنها ليست مؤثِّرة بعد ربع ساعة ... لذا تسلَّقوا الجنازير الضخمة، وصعدوا إلى سطح السفينة ... كان كل شيء هادئًا ... كانت السفينة الضخمة قد تحوَّلَت إلى جزيرة صامتة ...

أنزلوا السلالم إلى قاع السفينة ... وشاهدوا كل شيء ... الأسلحة ... والأجهزة ... وأدركوا أنهم نجحوا في العثور على «ميلوس» بشُحنتها الثمينة المدمرة ... ولكن الجزء الأصعب من المهمَّة كان ما زال أمامهم ...

كانوا يبحثون عن البحارة المساجين ... وصاح «عثمان»: في هذه الناحية.

وأشار إلى باب مشبك بالقضبان ... وأسرعوا إليه، ووجدوا مفتاح الباب مع الحارس الذي كان مُستغرقًا في النوم على كرسي صغير، وبين يدَيه مدفع رشاش ...

فتح «عثمان» الباب ... وكان المشهد الذي رأَوه من أغرب المَشاهد ... الرجال على الأسرَّة الحديدية الصغيرة ... وقد استغرقوا جميعًا في النوم ... كأنهم نائمون منذ سنوات ... وأخذوا يُطلقون غازات الإفاقة في السجن الحديدي ... الضيق ... وبدأ الرجال يسعلون أولًا ... وبعضهم يَتَأَوَّه ... وبعضهم يَتَثَاءب ... وكان أول مَن فتح عينيه بحارٌ شابٌّ مفتول العضلات ... وهزَّه «أحمد» قائلًا: نحن أصدقاء ... أين كابتن السفينة؟

أشار البحار إلى رجل غزير اللحية كان يجلس في فراشه وهو يَفرك عينيه وقال: الكابتن «لونجمان».

أسرع «أحمد» إلى الكابتن الذي أخذ ينظر إليه بدهشة ...

قال «أحمد»: إننا أصدقاء جئنا لإنقاذكم.

اتسعت عينا الكابتن وهو يسأل: كيف وصلتم؟

أحمد: ليس هناك وقت للشرح ... إننا كما قلتُ لك أصدقاء، ونُريد الخروج بالسفينة فورًا.

قفز «لونجمان» من فراشه وقال: لكن أين الذين استولوا على السفينة؟

أحمد: إنهم نائمون.

لونجمان: ولكن كيف نام الجميع هكذا؟

أحمد: سأشرح لك فيما بعد ... المهم الآن أن تُصدِر أوامرك لرجالك للخروج بالسفينة إلى عرض البحر ... فنحن جميعًا مُهدَّدون بخطرٍ شديدٍ.

أخذ الكابتن يُصدر تعليماته ... وقفز الرجال وأخذوا يَخرُجون إلى سطح السفينة، ونزل «عثمان» مع المهندسين إلى عنبر الماكينات ... بينما اتجه «أحمد» إلى السطح مع الكابتن ... وارتجت السفينة بهدير الماكينات وهي تدور ... وانطلقت الأضواء تكشف جوانب الكهف العجيب ... كهف الوطاويط ...

أخذت الماكينات تَرفع من سرعتها تدريجيًّا ... ووقف الشياطين الأربعة وقد بدت على وجوههم علامات الانتصار ... ثم أخذت السفينة تخرج بمؤخرتها من الكهف إلى المحيط ... وعندما أصبحت خارج الكهف تمامًا أشار «أحمد» إلى حيث يقف القارب الذي به «براند» وطلب منه القبطان الاتجاه إليه ...

أخذ «براند» ينظر مبهورًا إلى السفينة الضخمة ... لم يُصدِّق أن هؤلاء الأولاد الأربعة يُمكنهم أن يستولوا عليها ...

نزل «أحمد» إلى القارب وقال لـ «براند»: عُدْ أنت وصديقك الصياد إلى «زيكو» ... قلْ له: إن المهمَّة انتهت على خيرٍ ... واطلبْ منه أن يحتفظ بحاجياتنا لحين عودتنا ...

ومنح «أحمد» للصياد «براند» مبلغًا من المال ... ثم أخذ ثيابه وثياب زملائه من القارب وعاد إلى سطح السفينة ...

طبق فول بالطحينة

قال القبطان والسفينة تتَّجه إلى المحيط: إلى أين تريد أن تذهب؟

أحمد: بعد نصف ساعة سأقول لك على اتجاهنا ... ولكني أولًا أريد أن أبحث معك موضوعين ... الأول هو كيف تمَّ الاستيلاء على السفينة؟

القبطان وهو يَرشُف من قدح الشاي الضخم في يده: كان لنا موعد محدد حسب التعليمات لنتجه إلى جزيرة «بربادوس» ... وبالفعل كنت متجهًا إليها ... فجأة شاهدت قاربًا مسلَّحًا يقترب من السفينة ... ثم يتحدث إلينا على أنه قارب لخفر السواحل ... وبالطبع امتثلنا للأوامر ... كان لا بدَّ أن نَنتظِره ... وصعد إلى ظهر السفينة ستة رجال يلبسون ملابس خفر السواحل ... وتظاهروا بتفتيش السفينة ... وقال أحدهم: إن سفينتك تحمل شحنة أسلحة، وهذا ممنوع إلا بتصريحٍ خاصٍّ من سلطات الميناء ...

وسكت الكابتن لحظات ثم قال: وقبل أن أناقشه في هذا الحديث فوجئت به يخرج مسدسًا ثم يقول لي: أنت مقبوض عليك ... وكذلك رجالك.

ولم يكن معنا إلا بعض الأسلحة الخفيفة، وخشينا إذا نحن اشتبكنا معهم في معركة أن تنفجر السفينة بما فيها من أسلحة ومتفجِّرات ... وهكذا استسلمنا لهم ... فوضعونا في السجن وقاموا هم بتسيير السفينة إلى حيث وجدتها.

أحمد: ولكنهم طبعًا ليسوا من رجال خفر السواحل!

الكابتن: طبعًا، فلو كانوا فعلًا منهم لأخذونا إلى أقرب ميناء، فنحن نعرف أن شحنة الأسلحة التي نحملها قانونية.

أحمد: وأين الزَّورق المسلح؟

الكابتن: لا أدري ... ولكن هناك طائرة «هليكوبتر» بحرية تأتي في مثل هذا الموعد كل ليلة وتهبط بجوار الكهف ... وقد دعونا مرة لمقابلة شخصٍ واستجوبني.

أحمد: هل سمعت اسم «روكو» يتردَّد في أحاديثهم؟

الكابتن: أظنني سمعت مرة أو مرتين ... ولكن مَن أنتم بالضبط؟

أحمد: إنَّنا نُمثِّل أصحاب شحنة الأسلحة.

الكابتن: أنتم عرب؟

أحمد: نعم.

الكابتن: ولكن كيف؟

وقبل أن يُتمَّ جُملته، سمعوا صوت هدير محرك طائرة وقال الكابتن: إنها الطائرة الهليكوبتر.

أدرك «أحمد» أنهم في مأزق ... فإن الطائرة يُمكنها أن تصطادهم بسهولة إذا كان بها أي نوع من القنابل ... وأسرع يسأل الكابتن: هل في شحنة الأسلحة مدافع مضادة للطائرات؟

الكابتن: حسب الكشف توجد في صناديق موجودة على السطح.

قفز «أحمد» مسرعًا ... وخلفه «زبيدة» و«إلهام» إلى الناحية التي أشار إليها الكابتن ... واستعاروا بلطةً من غرفة الكابتن، ثم فتحوا أحد الصناديق وأخرجوا مدفعًا وتعاونوا جميعًا على وضعه في وسط السفينة ...

اقتربت الطائرة الهليكوبتر من السفينة، وأخذت تحوم حولها لحظات ثم ابتعدت ... كان الشياطين الأربعة قد أعدوا المدفع للإطلاق، وقال «أحمد»: أخرجوا مدفعًا آخر.

ووقف «أحمد» خلف المدفع بينما قام «عثمان» و«زبيدة» و«إلهام» بمساعدة بعض البحارة في إخراج مدفعَين آخرين ... ومرة أخرى ظهرت أضواء الطائرة مُقبلة من بعيدٍ ... وعندما اقتربت من السفينة أخذت ترتفع تدريجيًّا، ثم دارت دورة واسعة، ثم هبطت منقضَّة على السفينة ... بينما انطلقت المدافع الثلاثة في ومضات سريعة ... وحاولت الطائرة أن تبتعد عن مجال الإطلاق ... ولكن المدافع الثلاثة حاصرتها ...

وأخيرًا أصابت إحدى القنابل الطائرة إصابة مباشرة فانفجرت في الجو وتناثرَت مُشتعلة، وسقطت في مياه المحيط السوداء بين تهليل البحارة وهتافهم ...

طلب «أحمد» من الكابتن أن يضع الأسرى النائمين في السجن حتى يتلقَّى التعليمات الخاصة بهم من مقر رئاسته.

دخل «أحمد» إلى غرفة اللاسلكي في السفينة، واتَّصل بمجموعة «نيويورك»، وأملى الرسالة: «من رقم «١» إلى رقم «٥» ... نجحت المهمَّة ... نحن نُسيطِر الآن على السفينة

«ميلوس» في عرض البحر ... البضاعة موجودة ... اتصل برقم «صفر» واطلب تعليماته لنا ... اتصل بنا على الموجة التالية ... ثم أَمْلَى طول الموجة والذبذبة الخاصة بها كما أخذها من ضابط اللاسلكي ...»

جلس «أحمد» ليأخذ قسطًا من الراحة، ومعه الشياطين الثلاثة على ظهر السفينة ... لقد انتهى الجزء الأول من مهمتهم ... ولكن ماذا بشأن «روكو»؟

بعد نصف ساعة خرج ضابط اللاسلكي يحمل رسالة من «بو عمير» إلى «أحمد»:

من رقم «٥» إلى رقم «١»

أُرسلُ إليك تهنئة رقم «صفر» وتهنئة الشياطين ... لقد أنجزتم عملًا رائعًا ... حَدِّدْ لنا مكان السفينة «ميلوس» بالضبط، وستصلُكُم سفينة عربية لنقل الشحنة ... إنها موجودة الآن في «كاراكاسي» فاتجهوا إليها ... ويُمكنكم الاتصال بها على هذه الموجة.

أعطى «أحمد» تعليماته إلى الكابتن ليتصل بالسفينة العربية «الصقر» ... وتمَّ الاتصال سريعًا والاتفاق على نقطة اللقاء ...

وبعد ربع ساعة أخرى خرج ضابط اللاسلكي إلى «أحمد» ببرقية أخرى:

من رقم «٥» إلى رقم «١»

حسب تعليمات رقم «صفر» عليكم الاتجاه فورًا إلى «نيويورك»، لقد عثرنا على أثر «روكو»، والقضية معقدة جدًّا ... رقم «صفر» يطلب التخلُّص من الأسرى إذا كانوا أحياء ... ضَعْهُم في أي جزيرة تجدها في الطريق ... أو في قوارب الإنقاذ، وأبعِدْهم عن السفينة «ميلوس».

ردَّ «أحمد»:

من رقم «١» إلى رقم «٥» ...

سنُنفِّذ التعليمات ... نتوقع أن نصل إلى «نيويورك» بعد ٤٨ ساعة ... أرجو إعداد طبقٍ من الفول المدمس وسلطة الطحينة، فإنني أكادُ أموتُ جوعًا ...

وضحك «أحمد» وهو يرسل رسالته ...

ثم اسْتَلْقَى على ظهر السفينة وهو يَبتسِم للشياطين الثلاثة ...

هنـــداوي